العادل لا يفعل فعلاً جزافاً وظالماً .

والموضوع الثالث هو أنّ الله رؤوف رحيم وأرحم الراحمين ولا يرتكب عملاً مخالفاً للرحمة المطلقة . وقد استدل في سورة صاد على ضرورة المعاد والقيامة بأدلّة عديدة ، أحدها هو أنه بما أن الله حق فلا يصدر منه عمل باطل . وإذا لم يكن لنظام الخلق يوم ثواب وعقاب ولا يصل العالم بحركته إلى هدف ، فحركته مستمرة ودائمة ولكن لا إلى جهة وهدف معيّن ولا إلى هدوء وسكون وليس لهذا العالم نهاية للاختلافات وفيصل للنزاع بين الحق والباطل فإنه يصير عالماً باطلاً ، يقول : ﴿ **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً** ﴾[1] بل جعلنا لها هدفاً ، وليس هو هدفاً فاعلياً قطعاً بل هو هدف فعلي ، الفاعل هو الله لأنّه الغني المحض ، الغني بالذات لا هدف له بل هو عين الهدف ، وغرض الفاعل هنا ليس له طريق لكي يحتاج إلى أن يعمل الله عملاً يصل به إلى ذلك الهدف ، وفعل الله ليس للوصول للغاية ليرجع الغرض إلى الفاعل ، ولا يمكن القول أن الله قد عمل كذا ليصل إلى الغرض الفلاني ، ففعل الله لا يتلاءم مع اللام الغائية ، ولا يمكن القول بأنّ الله تعالى عمل عملاً ليحصل على الفائدة ، ولا يمكن القول بأنّ الله فعل هذا ليكون جواداً . فأنا لم أخلق الخلق لأحصل على فائدة ولم أخلق الخلق لأكون جواداً ، لا أنه لم أخلق الخلق لأنال فائدة ما بل لأجود على العباد . فعل الله ليس للحصول على المنفعة مثل الآخرين ، ولا ليكون جواداً مثل الآخرين أيضاً ، لأنّ ذلك المبدأ الذي يؤدي عملاً للوصول إلى الهدف فإذا لم يؤدِ ذلك العمل لا يصل إلى ذلك الهدف ، وإذا لم يؤدِ ذلك العمل يكون ناقصاً ، وبذلك العمل يدفع النقص عن ذاته ، فذلك المبدأ ليس غنى محضاً فالله لم يخلق العالم ليكون جواداً وإذا لم يكن جواداً يكون

---

(١) سورة ص، الآية: ٢٧.